دور علماء العربية في التأصيل لنحو النص

دكتور/ ماهر محمود عميرة
أستاذ النحو والصرف المساعد
جامعة عين شمس

المقدمة:

الحمد لله وكفي، وصلاة على عبده الذي اصطفى، وعلى آله، وصحبه الغر الميامين، وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد...

فإن الناظر في تراثنا العربي يلحظ بشكل جلي، دور علماء العرب – لغويين، ونحاة، ومفسرين، وبلاغيين – في التأصيل لنحو النص وصوغ قواعده ، نلمح ذلك جليًا في تعريفاتهم لمصطلحات علم النص كالسبك، الحبك، والنص، والتناسق، والتماسك وغيرها. وإن كانت لا تعنى لديهم تطابقا فى الدلالة مع ما اتفق عليه علماء نحو النص بعد ذلك , وكذلك نلمحه في القواعد النحوية التي قعّد لها علماء نحو الجملة، وأبرزوا دورها في تماسك النص، ووحدته، ولعل ما قدمه علماء التفسير بما سطّرُوه حول علم المناسبة، وتماسك النص القرآني خير دليل على ذلك.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:-

من أجل هذا كان اختياري للموضوع الذي أحاول من خلاله إبراز جهود علماء العربية، من خلال المصطلح والقاعدة لديهم في إمكانية بلورة النظرية النصية الحديثة، راجيًا أن تكون تلك محاولة أولى، يأتي بعدها محاولات أخرى، من أجل بلورة نظرية نصية عربية، وهو جهد يجب أن يكون له عينان، عين يرصد بها كتابات علماء العربية – قدماء ومحدثين – وعين أخرى يرصد بها جهود علماء النص الغربيين، من أجل الخروج بنظرية لسانية عربية يكون لها ثقلها في ميدان البحث اللسانى.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها محاولة لرصد دور العلماء العرب القدامي، وإبراز دورهم في صياغة النظرية النصية الحديثة، وهذا يتطلب جهد عظيم حتى تستوى هذه النظرية المنشودة(١).

ومن ثمَّ فإنه يمكننا أن نُفيد من إسهامات القدماء من خلال ما دونوه من نماذج عدة فى هذا المجال ، وكذلك يمكننا أن نُفيد من النظرية اللغوية اللسانية الغربية. بآلياتها ومناهجها المختلفة من أجل بلورة نظرية عربية حديثة، تعطي رؤية مختلفة في المنطلق، والهدف، وذلك لكي تُسهم في فهم النصوص فهمًا عميقًا دقيقًا(٢).

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة أنها تحاول أن تجاوب عن الأسئلة التالية:

- هل لعلماء العربية القدامى دور في التأسيس للنظرية اللسانية الحديثة؟، وماذا قدمنا لإظهار هذا الدور ؟ .
- هل ما قدمه علماء العربية يمثل إرهاصًا لنحو النص، والنظرية؟

اللسانية الحديثة؟، وهل أفاد منه الغربيون في بلورة أصول النظرية اللسانية ؟ وما ملامح هذه النظرية (المنشودة) في التراث العربي؟

الدراسات السابقة:

ضمت المكتبة العربية العديد من الدراسات التي تناولت نحو النص أو بعض معاييره مع التطبيق على عمل أدبي,ومن ذلك.

١- دراسة نبيل رشاد نوفل بعنوان: الترابط الدلالي في معلقة عبيد بن الأبرص، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، فرع بنها، العدد، ١٩٩٢م/ ١٩٩٣م.

٢- دراسة مصطفى صلاح قطب بعنوان، دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لُغتي الجاحظ والزيات، دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٩٧م.

٣- دراسة محمد العبد بعنوان: حبك النص، منظورات في التراث العربي، مجلة فصول، العدد ٥٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ربيع ٢٠٠٢م.

٤- دراسة نادية رمضان محمد النجار، بعنوان: عناصر السبك بين القدماء والمحدثين، بحث منشور في كتاب "العربية بين نحو الجملة ونحو النص"،

(١) نظرية الإبداع الموازي: التحليل النصي للشعر، محمد حماسة عبداللطيف، ص١٢.

(٢) انظر: دراسات لسانية تطبيقية، مازن الوعر، ص٣٨.

كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م.

٥- دراسة محمود سليمان حسين، بعنوان: أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، دراسة نصية من خلال سورة يوسف، ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م.

٦- دراسة مراد حميد عبدالله بعنوان: من أنواع التماسك النصي "التكرار، الضمير، العطف"، بحث منشور بمجلة جامعة ذي قار، العدد الخاص، المجلد الخامس، سنة ٢٠١٠.

٧- أثر النحو في تماسك النص، عابد بوهادي، بحث منشور بمجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد٤٠، العدد١، سنة ٢٠١٣م. الصادر عن عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية.

٨- دراسة هناء دادة موسى، بعنوان (الاتساق والانسجام ومظاهرهما في قصيدة بطاقة هوية لمحمود درويش)، جامعة قاصدي محمد مرباح ورقلة، الجزائر، ماجستير ٢٠١٤م.

ولم تقع عيناي على دراسة اهتمت بدور علماء العربية القدامى في التأصيل لنحو النص. فكان ذلك دافعًا لدى البحث في تلك الجزئية آملاً أن يأتي بعدي من الدارسين من يكمل المحاولة ويستكمل ما بدأته من أجل الوصول إلى بلورة نظرية عربية في نحو النص بمنظوره العربي التراثي ومنظوره النصيّ الحديث.

المنهج المتبع:

سوف يلتزم البحث المنهج الوصفي؛ لرصد إسهامات علماء العربية في نحو النص، التي مهدت لهذه النظرية الحديثة.

ومن ثم رصد كتابات علماء النص لبيان مدى تأثير علماء العرب في صياغة المصطلح لديهم، وبيان أثر نحو الجملة في نحو النص.

أهداف الدراسة:

١- تسليط الضوء على جهود علماء العربية القدامى في التأسيس لنحو النص الحديث.

٢- إبراز دور التركيب النحوي في تحقيق التماسك النصي، من خلال الاستشهاد بمجموعة من آيات القرآن الحكيم.

٣- إلقاء الضوء على الفروق البينية بين نحو النص، ونحو الجملة، ومدى التـأثير والتأثر بينهما.

٤- التمهيد لتأسيس مدرسة نصية عربية حديثة.

المصطلحات والمفاهيم:

لطبيعة هذه الدراسة فسوف يرد فيها عدد من المصطلحات، التي يجب توضيح مفهوم كل منها. ومن هذه المصطلحات (النص، نحو الجملة، نحو النص، السبك، التماسك، الحبك) وسوف أتناول هذه المصطلحات بادئًا بعرض المعنى اللغوي للمصطلح من خلال ما ذكره المعجميون العرب، وكذلك معناه في كتابات القدماء – إن وُجد لديهم – مُتْبِعًا ذلك بعرض مدلوله كما ورد في علم اللغة الحديث.

النص:

ورد مفهوم النص في المعاجم العربية للدلالة على الارتفاع وبلوغ ذروة الشيء، والوصول إلى الغاية، ذكر ذلك ابن فارس "النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء الشيء"(١).

وفي لسان العرب: "النص رفعك الشيء. ونص الحديث ينُصُه نصًا، رفعة، وكل ما أُظهر فقد نُص ... يُقال نص الحديث إلى فلان رفَعهُ، وكذلك نصصتُه إليه، ونصت الظبية جيدها: رفعته"(٢).

ويُنَصُّ الكلام إلى فلان أي رُفِع إليه، ولا يكون كذلك إلا إذا كان مسبوكًا ومحبوكًا "نصَّ الحديث إليه: رفعَهُ ... والمتاع: جعل بعضه فوق بعض"(٣).

وورد المعنى عند الزمخشري بمعنى الشهرة، والسيادة، وعلو الشأن يقول: "الماشطة تنصُّ العروس فتقعدها على المنصة، وهي تلتص عليها، أي ترفعها"(٤).

ومِنْ ثمَّ فإن مفهوم النص في المعاجم العربية يدور حول معنى العلو، والإظهار، والارتفاع، وبلوغ الغاية أو جعل الأشياء بعضها على بعض على شكل مخصوص منظم يجعلها متسقة ومنسجمة تمامًا كالنص اللغوي.

فإذا انتقلنا إلى المعنى الاصطلاحي للنص في الدراسات الحديثة نجد اتفاقًا بين الدرسين على أن النص "أكبر وحدة لغوية، ولا يمكن أن تدخل تحت وحدة لغوية أخرى أكبر منها"(٥).

---

(١) مقاييس اللغة، مادة (نص) .

(٢) لسان العرب: لابن منظور، مادة (ن ص ص)

(٣) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مادة (ن ص)

(٤) أساس البلاغة، للزمخشري، مادة (ن ص ص)

(٥) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد البحيري، ص١٠٨.

ويذهب كل من هاليداي ورقية حسن إلى أن مصطلح نص يستخدم في اللغويات ليشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكوِّن وحدة متماسكة(١).

ويرى روبرت دي بوجراند أن "النص غير مرتبط بحجمٍ معين طولاً أو قصرًا، فقد يأتي على هيئة صورة كلمة واحدة، أو في صورة جملة واحدة، أو قد يكون مجموعة من الأجزاء، أو خليطًا من البنيات السطحية"(٢).

ويقدم الأزهر الزناد مفهوم النص على أنه نسيج من الكلمات، والجمل تترابط وتتماسك، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح نص إذ "تُشكل كل متتالية من الجمل نصًا، شريطة أن يكون بين هذه الجمل علاقات... وتتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة، أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برُمَتِها سابقة أو لاحقة"(٣).

يظهر مما قدمناه لعلماء النص المحدثين أن كل باحث قدم تعريفًا يتفق مع رؤيته الشخصية للمصطلح، فمنهم من عرفه من الناحية الشكلية، ومنهم من عرفه من الناحية الدلالية، ومنهم من قدم تعريفًا وسطًا يجمع فيه بين الجانبين الشكلي التركيبي، والجانب الدلالي.

السبك:

ورد السبك في معاجم العربية بمعنى ضم الأجزاء المتعددة، والعمل على التأليف بينهما حتى تصبح هذه الأجزاء كيانًا متماسكًا ففي اللسان: " اتسقت الإبل واسْتَوْسَقت: اجتمعت... وكل ما انْضمَّ، فقد اتسق، والطريق يتسق أي: ينضمُّ، ... وسبك الذهب والفضة ونحوه من الذائب يسبُكهُ، ويسبِكُه سَبْكًا، وسبَّكَهُ ذوَبه، وأفرغه في قالب"(٤). وذكر الفيروز آبادي السبك وقال: "ومن المجاز: كلام لا يثبتُ على السبك وهو سبَّاكٌ للكلام، وفلان سَبَكَتْهُ التجارب"(٥)، وفي المعجم الوسيط: "اتسقَّ الشيء: اجتمع، وانضمّ: والقمر استوى وامتلأ، واستوسق الشيء: اجتمع وانضمّ يُقال: استوسقت

(١) انظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص٢٢.
(٢) انظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة، تمام حسان، ص٦٤.
(٣) انظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص١٣.
(٤) اللسان: مادة (و س ق).
(٥) القاموس المحيط: مادة (س ب ك).

الإبل، والأمر انتظم، ويقال: استوسق له الأمر: أمْكنة"[١]، والمعنى كله يدور في معاجم اللغة حول معنى، الضم، والانتظام، والاتساق، والاستواء.

وبهذا المعني يتفق اللفظ في المعجم العربي مع معناه في علم اللغة الحديث إذ يعني ربط الجمل المتعددة حتى تُكوِّن نصًا. أو بمعنى آخر يقصد به تتابع البناء الظاهري للنص عن طريق استخدام وسائل الربط النحوية، والقاعدية المختلفة.

الحبك:

ورد لفظ الحبك في معاجم اللغة بمعنى الإحكام، والإتقان ففي اللسان "الحبك الشدُّ، واحتَبَك بإزاره اجتبى به، وشده إلى يديه ...وتحبّكت المرأة بنطاقها شدته في وسطها"[٢]، وجاء اللفظ بالمعنى ذاته في القاموس "الحبك: الشد والإحكام وإجادة العمل والنسج، وتحسين أثر الصنعة في الثياب"[٣].

وفي علم النص الحديث قُصد به التتابع الدلالي للمفاهيم والعلاقات داخل النص، وهو ألصق بجانب الربط المعنوي، أو دلالة أدوات الربط داخل النص.

التماسك:

ورد المصطلح في معاجم اللغة بمعنى الإحكام والشد والحبس والربط التام. ففي اللسان "مَسَك بالشيء وأمْسَك به تمسَّك، وتَماسَك واستَمسَك، ومسك كله احتبس"[٤]، ومنه "امسكت عليه ماله: حبسته، وأمسك عن الأمر: كفَّ عنه... وغَشِيني أمر مقلق فتماسَكتُ"[٥]، وفي المعاجم الحديثة "التماسك: ترابط أجزاء الشيء حسيًا أو معنويًا، ومنه التماسك الاجتماعي وهو ترابط المجتمع"[٦].

والمصطلح عند علماء النص يُقصد به التلاحم بين مكونات النص، بحيث يصبح نسيجًا واحدًا، من خلال مجموعة العلاقات التي تربط بين مكونات النص، فيصبح بذلك قطعة واحدة تحمل خصائصها الذاتية التي تميزها عن غيرها من النصوص الأخرى[٧]. وبذلك تتحقق في النص عوامل استقراره ورسوخه.

---

(١) المعجم الوسيط: مادة (و س ق).
(٢) اللسان: مادة (ح ب ك).
(٣) القاموس المحيط: مادة (ح ب ك).
(٤) اللسان: مادة (م س ك).
(٥) أساس البلاغة: مادة (م س ك).
(٦) المعجم الوسيط (م س ك)
(٧) انظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، ص٧٤.

وبذلك يتبين الاتفاق بين المعنى المعجمي عند علماء العرب، ومعناه عند علماء النص المحدثين.

نحو النص:

لفظ (النحو) مصدر للفعل نَحَا يَنْحو نحوًا ويُستعمل في معان منها: القصد إلى الشيء، أو الميل إلى الشيء، أو الانصراف عنه، ففي الاستعمال اللغوي يُقال: نحا الشيء قصده، ونحا الولد إلى والده فعل فعله؛ أي قصده.

وفي الاستخدام اللغوي نحا إلى الشيء، أو نحا عنه؛ أي مال إليه أو انصرف عنه.

ولفظ (النص) مصدر ينص نصًا، وورد في اللغة بمعاني الرفع، والإظهار، والاستقصاء، وسبق ذكر ذلك فلا حاجة للإعادة هنا.

ويعرف النحو في الاصطلاح بأنه "العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها"(١).

أما كلمة (النص) في الاصطلاح فتأتي بمعنى "تتابع متماسك من الجمل، وذلك يعني أن النص وحدة بنائه هي الجملة، وأنه لابد من تعددها، وينبغي أن يكون مترابطًا متماسكًا من جهة مضمونة"(٢)، أو هو "فكرة مكتوبة، أو منطوقة بشرط أن تكون وحدة متكاملة"(٣).

أما دلالة ذلك التركيب الإضافي (نحو النص)، فقد وردت له عدة تعريفات منها أنه "العلم الذي يبحث في سمات النصوص، وأنواعها، وصور الترابط والانسجام داخلها ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكننا من فهمها، وتصنيفها، ووضع نحو خاص لها مما يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها مُنْتَج النص، ويشترك فيها متلقيه"(٤). وأنه علم "يتوفَّر على دراسة النص المنجز فعلاً، من حيث هوينية كُلية موضوعة في مقام ما أو سياق ما"(٥). وما كان لنحو النص دراسة النصوص إلا إذا تجاوز محدودية الجملة فيأخذ في الاعتبار "في وصفة تحليلات عناصر أخرى لم

(١) شرح الأشموني للألفية، ١٥/١.
(٢) التحليل اللغوي للنص، ص٢١.
(٣) مدخل إلى علم لغة النص، ص٢١.
(٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (نماذج من السنة النبوية)، ص٥.
(٥) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص٥٥.

توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية منطقة إى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يُقدم صياغات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها"[1].

نحو الجملة:

يُقصد به النحو التقليدي، الذي يعتمد على الجملة المفردة على أنها أكبر وحدة لغوية تركيبة يتولد عنها كل أنماط الجمل. وهذا التعريف يعطي الجملة معنى مستقلاً بعيدًا عن السياق، أو المواقف اللغوية، ويثبت في نحو الجملة مبادئ الاطراد والمعيارية والإطلاق. ويقصد بالاطراد الثبات في الحكم النحوي، وما خرج على القاعدة واطرادها فهو "شاذ"، ويقصد بالمعيارية أن القاعدة هي أساس الصحة أو الخطأ، وكأن المعيارية حكم سابق على النص، ويُقصد بالإطلاق : أن القاعدة تصدق على كل جملة استخدمت أو لم تستخدم فالمعيارية حكم يُرد إليه كل كلام.

(١) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ص١٣٤.

هيكل الدراسة:

جاءت هذه الدراسة في أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول بعنوان : علم النص المفهوم والنشأة.

المبحث الثاني بعنوان : معايير الترابط النصيّ

المبحث الثالث بعنوان : بين نحو الجملة، ونحو النص.

المبحث الرابع بعنوان : جهود علماء العربية في نحو النص.

وأتبعت ذلك بأهم النتائج التي توصل إليها البحث والمقترحات التي يقدمها في هذا المجال.

ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث .

فإن جاء ذلك العمل على النحو الذي ابتغيه، فذاك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن قصُر عن الهدف الذي أمَّلْتُه فحسبي أني حاولت واجتهدتُ وما قصرتُ، والله الموفق وهو حسبي, عليه توكلت وهو نعم المولى ,ونعم النصير.

المبحث الأول

النص، المفهوم والنشأة

تعددت تعريفات النص لدى علماء علم النص، تبعًا لزاوية النظر التي يقف وراءها كل عالم، حتى تعددت وربما تداخلت هذه التعريفات، فبعضهم يرتكز إلى مكونات النص الجملية وتتابعها، وبعضهم يرتكز إلى السياق، والآخر يعتمد على الترابط النصي، والبعض يركن إلى مجموع المقاربات التي تجعل الملفوظ أو المكتوب نصًا.

وكلمة "النص" تستخدم في الألسنية الحديثة للدلالة على فكرة مكتوبة أو منطوقة، بشرط تكون نسيجًا متكاملاً، ورغم ورود العديد من التعريفات لمعنى "النص" إلا أن معظمها ينطلق من أنه يتكون من جمل تنشأ بينهما علاقات تماسك[١]، وقيل هو"تتابع متماسك من الجمل، وذلك يعني أن النص وحده بنائه هي الجملة، وأنه لابد من تعددها، وينبغي أن يكون مترابطًا متماسكًا من جهة مضمونة"[٢].

(١) انظر: مدخل إلى علم النص، ص٢١.

(٢) انظر: التحليل اللغوي للنص، ص٢١.

وذهب كل من يرنكر، وأيزنبرج، وشتاينتز, وغيرهم إلى أن النص "تتابع وترابط من الجمل"(١).

وتحدد جوليا كرستيفا النص على أنه "جهاز غير لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه، والمتزامنة معه"(٢). ويبدو أن الباحثة تنظر إلى معنى "النص" انطلاقًا من معنى "التناص" فهو نص يتعالق مع مجموعة من النصوص الأخرى.

أما هاليداي، ورقية حسن فيريان أن مصطلح "النص" يستخدم في علم اللغويات ليدل على فقرة مكتوبة، أو منطوقة مهما بلغ طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة"(٣).

وهو عند فاينرش "وحدة كلّيَّة مترابطة الأجزاء، فالجمل يتبع بعضها بعضًا وفقًا لنظام شديد، بحيث تُسْهِم كلُّ جُملة في فهْم الجملة الَّتي تليها فهمًا معْقولاً، كما تُسْهِم الجملة التَّالية من ناحية أُخرى في فهْم الجمل السَّابقة عليْها فهْمًا أفضل"(٤).

وعرفه بعضهم بأنه "نسيج من الكلمات يترابط بعضه ببعض، كالخيوط التي تجمع عناصر الشيء المتباعدة في كيان كلي متماسك"(٥).

أما روبرت آلان دي بوجراند، دريسلر فيقرران بأنه "حدث تواصُلي يلزم لكونه نصًّا أن تتوافَر له سبعة معايير نصية مجتمعة، ويَزول عنه هذا الوصْف إذا تخلَّف واحد من هذه المعايير وهي: السبك- الحبك-القصد- القبول- الإعلام- المقاميَّة- التناص"(٦).

واعتمد الأزهر الزناد فكرة الترابط، والتماسك، ونسيج الكلمات الذي يحوي خيوطًا تُشكل مجموعة من العلاقات يجمعها ما يمكن أن نسميه نصًا(٧) إذ "تشكل كل متتالية من الجمل نصًا، شريطة أن يكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح

(١) انظر: نحو النص، أحمد عفيفي، ص٢٢.
(٢) انظر: علم النص، جوليا كرستيفا، ص٢١.
(٣) انظر: نحو النص، أحمد عفيفي، ص٢٢.
(٤) المرجع السابق، ص٢٤.
(٥) انظر: في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص٢١٧.
(٦) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ص١٠٥.
(٧) انظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، ص١٢.

بين عناصر هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وأخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية بُرمَّتها سابقة أو لاحقة"(١).

ويعرفه نعمان بوقرة بأنه "وحدة كبرى شاملة تتكون من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحوية، وعلى مستوى عمودي من الناحية الدلالية"(٢).

وهو عند سعيد بحيري وحدة متكاملة فهو "كل تترابط أجزاؤه من جهتي التحديد والاستلزام، إذ يؤدي الفصل بين الأجزاء إلى عدم وضوح النص، كما يؤدي عزل أو إسقاط عنصر من عناصره إلى عدم تحقق الفهم"(٣).

ويذهب صبحي إبراهيم الفقي إلى تعريف النص بأنه "حدث تواصلي يلزم لكونه نصًا أن تتوفر له سبعة معايير، هي:السبك، الحبك، القصد، المقبولية، الإخبارية،المقاميَّة، التناص"(٤).

مما سبق يتضح أن العلماء لم يتفقوا على تعريف جامع مانع لمعنى "النص"، وذلك راجع إلى اختلاف زاوية النظر إلى المصطلح فمنهم من عرفه من الناحية الشكلية، ومنهم من عرفه من الناحية الدلالية، ومنهم من وقف موقفًا وسطًا يجمع بين الجانب الشكلي التركيبي والجانب الدلالي.

وعلى أية حال فقد وضع علماء النص مجموعة من المعايير التي تُميز النص عن اللا نص، فهي التي تحقق نصية النصوص، وبذلك تكون النصية مجموعة من السمات التي تجعل ملفوظًا ما، أو متتالية لغوية نصًا، وتنقسم هذه المعايير إلى معايير مرتبطة بالنص في ذاته (الاتساق والانسجام)، ومعايير مرتبطة بالمؤلف والمتلقي (القصدية، والإعلامية، والقبول)، ومعايير مرتبطة بالسياق الخارجي (الموقفية، التناص).

نحو النص:

ظهر هذا المصطلح في نهاية ستينيات القرن العشرين وقد تعددت تعريفاته وترجماته ومنها: "نحو النصوص"، و"علم النص"، و"علم لغة النص"، و"علم اللغة النصي"، ولسانيات النص"، ومنها كذلك "لغويات النص"، وأجرومية النصوص"،

(١) انظر: لسانيات النص مدخل إلى إنسجام الخطاب، محمد خطابي، ص١٣.
(٢) لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، نعمان بوقرة، ص٥٥.
(٣) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، ص١٠٨.
(٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحى إبراهيم الفقي، ٥٠/١.

ولعل ذلك التعدد في المسمى راجع إلى اختلاف الترجمات لهذا العلم فهذا العلم يطلق عليه في الانجليزية: "Texts grammer"، وفي الفرنسية" grammer deTexts".

وعلق د. صلاح فضل أن الترجمة الأقرب إلى الموضوعية هي "علم النص"؛ لأنه أكثر شمولية(١)، واتفق د. أحمد عفيفي مع ما ذهب إليه د. صلاح فضل، فيرى "أن نحو النص أكثر الأسماء اقترابًا إلى تحقيق الهدف وتوضيح صور التماسك والترابط النصي"(٢). وانطلاقًا مما تقدم فنحو النص يتخذ النص كله وحدة للتحليل، وليست الجملة، كما كانت الحال في الأنحاء السابقة عليه، والتي عرفت بنحو الجملة(٣).

وتبع ذلك الاضطراب في ترجمة المصطلح أن نلحظ اضطرابًا آخر في تحديد ماهية نحو النص، وتحديد معالمه وتعريفه.

ويتناول روبرت دي بوجراند مهمة نحو النص قائلا : " إن العمل الأهم للسانيات النص، هو بالأحرى دراسة مفهوم النصية، من حيث هي عامل الإنتاج من الإجراءات الاتصالية المتحدة من أجل استعمال النص"(٤).

ويعرفه فان دايك– صاحب الفضل في تأسيس هذا العلم – بأن مهمة هذا العمل هي: "أن يصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي، وأشكال الاتصال، ويوضحها ... بشرط أن يوجد الاستعمال اللغوي والاتصال، والتفاعل في شكل نصي"(٥).

وبصفة عامة، فإن نحو النص هو اتجاه لغوي غربي حديث، يُعنى بوَصْف البنية الكلية للنص، وتحليل عناصرها، وبيان مدى تماسكها من خلال إظهار أوجه الاطراد والتتابع داخل هذا الكيان اللغوي(٦).

(١) انظر: بلاغة الخطاب وعلم النص؛ صلاح فضل، ص٢٩٤.
(٢) انظر: نحو النص، أحمد عفيفي، ص٣١.
(٣) انظر: البديع بين البلاغة العربية، واللسانيات النصية، جميل عبدالمجيد، ص٦٦.
(٤) انظر: علم النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، ص٩٣.
(٥) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة سعيد بحيري، ص١١.
(٦) انظر: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد بحيري، ص٥٢.

ويهتم علم النص بإدراك "ووصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة"(١). ومعرفة كيف تتماسك النصوص ومن ثم فإن أولى مهام لسانيات النص "دراسة الخواص التي تؤدي إلى تماسك النص، وتعطي عرضًا للمكونات المنظمة لنماذجه النصية"(٢).

(١) انظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص٣٨.

(٢) لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، نعمان بوقرة، ص٣٣.

المبحث الثاني

معايير الترابط النَّصيّ

إن نحو النص "اتجاه لغوي غربي حديث يعنى بوصف البنية الكلية للنص، وتحليلها وبيان علاقاتها من دون الاقتصار على دراسة الجملة فقط كما هو مألوف في النحو العادي، مع تركيز الاهتمام على توضيح أوجه الاطراد والتتابع اللغوية والنصية، التي تحقق تماسك النص وتناسقه"(١).

يكاد يتفق علماء النصية، على أن النص يُمثل وحدة لغوية واحدة، تحققها مجموعة من الروابط الداخلية والخارجية، التي تجعل النص كلاً مترابطًا منسجمًا، كما أكدوا على "غائية النص" أو المقصدية، كل ذلك يتم في سياق معين، وتمثل هذه العوامل مجتمعة ما يسميه علماء النص بـ(النصية)، وهي الملامح التي يتميز بها النص عن اللا نص.

ومن المعلوم أن هذا العلم يضع معايير سبعة تكفل للنص صحة كونه نصًا، وهذه المعايير هي:

١- السبك أو التماسك.
٢- الحبك أو التناسق.
٣- القصد.
٤- القبول.
٥- المقامية أو رعاية الموقف.
٦- الإخبارية أو الإعلامية.
٧- التناص.

وقد قسم د. سعد مصلوح هذه المعايير على النحو التالي:

١- صنف يتصل بالنص ويشمل معياري (السبك والحبك).
٢- صنف يتصل بالمرسل والمتلقي ويشمل معياري (المقصدية والمقبولية).
٣- صنف يتصل بظروف إنتاج النص وتلقيه ويندرج تحت معايير (الإعلام والمقامية والتناص).

(١) انظر: علم لغة النص، سعيد البحيري، ص٥٢.

أ- السبك:

ويطلق عليه كذلك التماسك أو الاتساق أو التضام. وهو مصطلح "يختص بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص... وهذه الوسائل لا تُشكل نصًا إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظًا بكينونته، واستمراريته. ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي، ويتحقق الاعتماد في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هي:

١- الاعتماد في الجملة. ٢- الاعتماد فيما بين الجمل.

٣- الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة.

٤- الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات.

٤- الاعتماد في جملة النص(١).

وأكد د. مصلوح فكرته، بأن مصطلح الاعتماد النحوي "يحمل فيه صفة النحوية على أوسع مدلولاتها، أي على المستويات الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالة"(٢).

ويعتبر مصطلح السبك أو الاتساق أو التماسك من أهم المفاهيم التي أكدت عليها المدرسة النصية، وأشار به "هاليداي" و"رقية حسن" إلى مجموعة من الأسس التي تتحكم في تماسك الجمل وترابطها ويتحقق بها السبك أو الاتساق، إذ وقف تأويل عنصر من الخطاب على تأويل عنصر أخر منه، ... ومتى حدث هذا تكون هناك علاقة تماسكية(٣).

فالسبك مصطلح يقصد به تتابع البناء الظاهري للنص عن طريق استخدام وسائل الربط النحوية، والقاعدية المختلفة، بحيث تبدو عناصر بناء النص على صورة وقائع متتابعة، يؤدي السابق منها إلى اللاحق، وهو معيار شكلي صناعي يدرس المباني للتوصل إلى المعاني.

(١) انظر: نحو أجرومية للنص الشعري، سعد مصلوح، ص١٥٤.

(٢) السابق، ص١٥٤.

(٣) انظر: محاضرات في لسانيات النص، جميل حمداوي، شبكة الألوكة، ص٦٨.

ب- الحبك:

وله مصطلحات أخرى مثل (التناسق، الانسجام، التقارن) ويقصد به التتابع الدلالي للمفاهيم والعلاقات داخل النص، ولذلك فقد يطلق عليه أيضًا الالتحام أو التماسك الدلالي، وهو معيار وثيق الصلة بمعنى الربط المعنوي، ويمثل الحبك إلى جانب السبك أهم معايير التماسك النصي. اللذان يعملان معًا على الوصول إلى معنى التناغم والإنسجام.

يتضح مما سبق اهتمام الحبك (بمضمون النص) , بخلاف السبك" أو الاتساق الذي يهتم (بمبنى النص) ، ولا يمكن إقصاء أحدهما عن الآخر في أغلب الصياغات النصية؛ حتى يتحقق الانسجام المنشود.

ويتعلق معيار الانسجام بمدى إدراك المتلقي للعالم الذي تحيل عليه الجملة أو الجمل، ولذلك فهو أمر نسبيّ، فالنص إن كان قابلاً للفهم فهو منسجم وإلا فلا يكون منسجمًا[١].

وهناك من يسمى الحبك (الاقتران) الذي ينشأ عن طريق الروابط المعنوية التي يستخلصها المتلقي من الخطاب عن طريق التخزين والاسترجاع، وهو ما يجعل من المعاني الجزئية التي يتضمنها ذلك النص حلقات تساعد المتلقي على إدراك المحتوى وفهم النص[٢].

ويسمى كذلك (التلاحم) ، ويقصد به التماسك بين أجزاء النص الواحد، بحيث توجد علاقة بين كل مكونات النص، وبقية أجزائه فيصبح نسيجًا واحدًا، تتحقق فيه علاقات القصد، والخلفية المعرفية بالمبدع والمتلقي.

ج- القصد:

ويراد بهذا المصطلح قَصْد مُنْشِئ النص من إنشاء النص , والذي يقصد به أن يكون نصًا مسبوكًا محبوكًا، موضوعًا للتواصل إلى غاية

محددة , ومن ثم فليس للغو الكلام وحشوة مكان هنا , وكذلك كلام الناسى , والمخطئ , والسكران .

(١) انظر: الترابط النصي في الخطاب السياسي، سالم محمد المنظري، ص٥٤.

(٢) انظر: في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص٢١٩.

وبذلك فإن عنصري السبك والحبك يحكمهما – دومًا – قصد المرسِل لهدف معين، وهو التأثير في متلقٍ بعينه في موقف خاص.

لقد كان المتكلم في بداية ظهور فكرة النصية، هو محور اهتمامها، باعتباره قوة عليا توجه المخاطب؛ لتنفيذ مجموعة من الأوامر دون تردد، ويسمى هذا "بالتواصل التوجيهي". ولكن هناك من يرفض هذا التصور فيعتبر المقصدية قاسمًا مشتركًا بين المرسل والمتلقي دون فرق بينهما، وظهر – كذلك – من يرى أن المقصد به يتحكم فيها المتلقّي، فيتصرف في النص كما يشاء، ثم يُضطر المتكلم إلى تكييف خطابه حسب رغبات المتلقِّي(١).

د- القبول:

يطلق عليه المقبولية، وهي لفظة يُقصد بها أن هذا العمل الأدبي (النص) يُمثل نموذجًا مقبولاً من نماذج القبول، يتسم بالتماسك والالتحام بين أجزائه؛ وتتوفر به المرتكزات النصية التي أكد عليها نحو النص. وهذه صفة يضعها النصيون في مقابل القاعدة النحوية عند القدماء، من علماء نحو الجملة.

فالنص الذي يتسم بالمقبولية، هو النص الذي تتوافر فيه الوحدة العضوية والموضوعية، وتعنِي كذلك أن علم النص، لا يقبل التردد في الأوجه الإعرابية المختلفة والمحتملة، في الموضع الواحد، بل إنه يعمل على تضافر كل صفاته كالتناص ورعاية الموقف والإعلامية وغيرها لاتخاذ قرار يؤدي إلى تحديد المعنى(٢).

فالمقبولية في أسمى معانيها هي الرغبة الأكيدة من المتلقي للمشاركة في الخطاب، وبذلك يُمثل المتلقي ركنًا من أركان عملية الانتاج التي يمثلها المنتج، والنص، والمتلقي.

وقد أوْلَت نظرية التلقِّي – التي ظهرت في ثلاثينيات القرن العشرين- اهتمامًا خاصًا بالمتلقي حتى جعلته مشاركًا للنص في معناه، وأهميته، وقيمته، فالمتلقي هو

(١) انظر: النقد بين المثالية والدنامية، محمد مفتاح، ص٤٦.

(٢) انظر: شرح قصيدة باتت سعاد، لابن هشام، ضبط د. محمد الصباح، ص١٨٧.

وانظر كذلك: منهج ابن هشام في شرح باتت سعاد، د. محمود ياقوت، ص٩٣.

وانظر كذلك: النص والخطاب والإجراء، لروبرت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، ص١٠٣.

مَنْ يحكم على النص، ويستخرج معناه، ومقصده، ويحكم على تماسكهِ فالنص لم يكتب إلا من أجله(١).

أما (هاليداي) فقد اهتم في المقبولية على وسائل الاتساق اللغوية، النحوية، المعجمية, والدلالية.

وأكد (فندايك) على أهمية المستويين الدلالي، والتداولي، بهدف الوصول إلى فهم المعنى، أما (براون وبول) فقد ركزا على كيفية فهم المتلقي للخطاب وتأويله مُتفقيْن مع ما أشارت إليه نظرية التلقي(٢).

مما سبق يتضح أن معنى المقبولية اختلف بين علماء نحو النص، كلٌّ حسب فهمه ورؤيته الخاصة؛ فمنهم من حصرها في المتلقي، ومنهم من حصرها في أدوات الاتساق اللغوية، ومنهم من أرجعها إلى النص ذاته، ومدى تقبله، ومدى كونه صورة مقبولة من صور النصية.

٥- المقامية:

وتعرف (بالموقفية) أو(السياق) أو (رعاية الموقف)، وهو معيار يُقصد به العوامل التي تجعل النص مرتبطًا بموقف معين يمكن استرجاعه.

فالمقامية تُعْنى بكل ما يحيط بالنص من عوامل تُعين على فهمه سواء أكانت عوامل داخلية أم عوامل خارجية متمثلة في حال المرسل والمستقبل للنص، وكذلك الزمان والمكان، والغرض من النص ودواعيه وكل التلميحات، والإيماءات المصاحبة للموقف الكلامي.

ويمكن التمثيل لمعنى المقامية بمثال تطبيقي من القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿ولا تُطِعِ الكَافِرِينَ والْمُنَافِقِينَ ودَعْ أَذَاهُمْ وتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(٣) . فبمراعاة السيرة ومناسبة النزول نقطع بأن اسم المصدر في الآية الكريمة مضاف إلى الفاعل، لا إلى المفعول، فالرسول ﷺ هو من أوذيَ فالسياق أو الموقفية هي التي أوصلتنا إلى هذا الفهم.

من كل ما سبق نستطيع أن نقول إن: "نظرية السياق تشكل – بلا شك – ركنًا مهمًا من أركان علم الدلالة الآن؛ لأنَّ التحليل اللغوي للنص أو الكلام لا يعطينا إلا

(١) انظر: القارئ في النص (نظرية التأثير والاتصال)، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، ع١، مج٥، ١٩٨٤م، ص٢١٥.
(٢) انظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص٩٥.
(٣) سورة الأحزاب: الآية٤٨.

المعنى الحرفي، أو المعنى الظاهري للنصّ، وهو معنى فارغ تمامًا من محتواه الاجتماعي والتأريخي، ومنعزل تمامًا عن كل ما يحيط بالنص من القرائن التي تحدد المعنى"(١).

و- الإعلامية:

وتعرف كذلك بـ(الإبلاغية) أو (الإخبارية) ويُقصد بها عند علماء النص أن يكون للنص مضمون أو محتوى يَوَدُّ المرسل إبلاغه للمتلقي. ويتعلق هذا المعيار بالمكونات الإخبارية التي يتضمنها النص، ويحملها للمتلقي فهو كما قال (بوجراند) معيار يدل على "الجدة والتنوع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف، فكل نص يجب أن يقدم شيئًا للمتلقي، وكلما كان هذا الشيء جديدًا، وغير متوقع بالنسبة للمتلقي، زادت درجة الإعلامية، وكلما كان العكس، انخفضت درجة الإعلامية"(٢).

ز- التناص

ويقصد به "الاستدعاء النصي" ويقصد به تلك العلاقة التي تقوم بين أجزاء النص بعضها ببعض، أو بين نص ونصٍ آخر، وذلك كعلاقة الشرح بالمتن، أو كعلاقة الجواب بالسؤال، أو علاقة التلخيص بالنص الملخص.

لقد تعددت مرامي ومقاصد هذا المصطلح سواء عند علماء النص الغربيين أم الشرقيين. فأسماه "يوري لوتمان" بالتخارج النصيّ، وهو تمثيل أو تحويل عند (لوران جيني)، أما "جيرار جينيت" فيسميه التتالي النصيّ أو التداخل النصي(٣).

وانتقل هذا التعدد والتنوع في صياغة المصطلح إلى الدراسات العربية حين أراد اللسانيون العرب إيجاد ترجمة دقيقة له، فالبعض ترجم له "بالتناص"، وآخرون ترجموا له "بالتناصية"، ومنهم من عرّبه "بالنصوصية"، وفريق عرّبهُ "بتداخل النصوص"(٤).

وكلها مصطلحات مترادفة تُعبر عن المصطلح الغربي وتتطابق معه في المعنى إلى حد كبير.

(١) انظر: المعايير النصية في السور القرآنية، يسري نوفل، ص١٩٤.
(٢) انظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت بوجراند، ص٢٤٩.
(٣) انظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة، ص١٤.
(٤) انظر: النصية في السور القرآنية، يسري نوفل، ص١٦٩، ١٧٠.

كذلك انتقل هذا التعدد والتنوع إلى تعريفات المصطلح؛ فمنهم من قال إن "كل نص ليس إلا نسيجًا جديدًا من استشهادات سابقة"[١]. ورأته "جوليا كريستيفا. "تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة، إذ يَغْدُو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي مُحيت الحدود بينها وأُعيدت صياغتها بشكل جديد، إذ لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها وغاب الأصل، فلا يُدْركه إلا ذو الخبرة والمران"[٢].

كذلك تعددت تعريفات المصطلح عند علماء النص المشرقيين، ولكن يكاد يتفق أغلب الباحثين العرب على أن التناص يعني "استحضار نص ما لنص آخر، ويعني كذلك تلك العناصر الموجودة في نص ما وتربطه بنصوص أخرى"[٣].

فالتناص عند الغربيين أو الشرقيين من علماء النص يدور حول معنى التأثير والتأثر المتبادل بين نص وليد حديثًا ونص آخر، أو أكثر من نص يسبقه في الوجود، وقد يقع التناص بين النصوص، وبين أجزاء النص الواحد التي يفسر بعضها بعضًا.

(١) انظر: من العمل إلى النص، رولان بارت، ضمن كتاب آفاق نصية، ص٤٢.

(٢) انظر: علم النص، لجوليا كرستيفا، ترجمة فريد الزاهي، ص٢١.

(٣) انظر: المعايير النصية في السور القرآنية، يسري نوفل، ص١٧١.

المبحث الثالث

بين نحو الجملة ونحو النص

يكاد يتفق الباحثون المحدثون، على أنه لم يكن لدى العرب علم مستقل يهتم بدراسة النص كوحدة لغوية شاملة، بمعناه في اللسانيات الحديثة، بل نظروا إلى النص على أنه مجموعة من الجمل، باعتبارها هي المكون الأساسيّ للنص، وهي أكبر وحدة قابلة للوصف النحوي أو التحليل اللساني(١).

واستمر هذا الفهم يتناول النصوص، إلى أن ظهرت كتابات "زليغ هاريس" التي تدعو إلى فهم جديد في تناول النص ذلك الفهم الذي دعا فيه إلى ضرورة أن يدرس النص ككيان موحد، ومن ثم تحول النظر من تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب المترابط، وكان ذلك الفهم هو الإرهاص الأول لظهور نحو النص كبديل لنحو الجملة من حيث التناول في دراسة النص.

وأكد "هاريس" على ضرورة تجاوز القصور الذي وقع فيه نحاة الجملة والمتمثل في:

أ- الاقتصار على دراسة الجملة على أنها أكبر وحدة لغوية يمكن دراستها.

ب- الفصل بين اللغة، والموقف الاجتماعي الذي أنشئ فيه النص، وكذلك الخلفية الثقافية للمتلقي.

ومن هنا بدأ علماء النص يدركون ضرورة تجاوز الجملة إلى النص ككل، وضرورة الربط بين اللغة، والموقف الاجتماعي، وكان ذلك تمهيدًا لظهور علم النص.

وقد تعرض كثير من المحدثين لمحاولة رصد أوجه الاختلاف والاتفاق بين نحو الجملة، ونحو النص، وقد قمت برصد تلك الأوجه من خلال كتابات العديد من علماء النص(٢) المحدثين.

فيرى الدكتور تمام حسّان أن السمات التي يتصف بها نحو الجملة هي:

١- الاطراد: أي ثبات القاعدة في الحكم على اللغة النصية.

---

(١) انظر: بحوث ألسنية عربية، ميشال زكريا، ص١١.

(٢) انظر: علم لغة النص، سعيد بحيري، ص١٣٤، وعلاقة النحو العربي بنحو النص، عبدالسلام حامد، ص١١١، نحو النص، أحمد عفيفي، ص٦٥، في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص٢١٤، بين البلاغة واللسانيات النصية، جميل عبدالمجيد، ص٦٦.

٢- المعيارية: وتعني أن القاعدة سابقة على النص، وأنها معيار للصواب والخطأ ينبغي أن يراعى.

٣- الإطلاق: أي أننا نطلق القاعدة وهي صادقة على كل ما قيل أو ما سيقال، فهي الحكم الذي يُرد إليه الكلام كله.

٤- الاقتصار: ويُقصد به بحث العلاقات في حدود الجملة الواحدة، فلا يتخطاها إلا عند الإضراب أو الاستدراك أو العطف أو ما يشبه ذلك[١].

فنحو النص لا يُعير هذه السمات اعتبارًا، وينأى عنها. فهو بالنسبة (للاطراد) يعترف بالمؤشرات الأسلوبية، وهي تصرفات خاصة يلجأ إليها مؤلف النص ليميزه عن غيره، حتى يثير به انتباه المتلقي.

أما بالنسبة للمعيارية والإطلاق فهو أبعد ما يكون عنها؛ لأنه نحو تطبيقي، لا يأتي دوره إلا بعد أن ينشأ النص ويكتمل.

وكذلك يتجاوز نحو النص العلاقات داخل حدود الجملة الواحدة إلى أجزاء النص كله أيًا كان طوله، محللاً إياها ومتبعًا لها.

وفي مقابل ما سبق فإن هناك صفات تخص نحو النص وحده، ولا تعني نحو الجملة في شيء وهي: القصد والقبول والموقفية والإعلامية والتناص. والمعياران المتبقيان يتفق فيها نحو النص مع نحو الجملة وهما: السبك، والحبك.

والسبك أو التضام: علاقة لفظية تشمل الاقتصار والاختصاص والتلازم والمطابقة وعود الضمير، وما شابه هذا.

والحبك أو الاتساق: هو علاقة في المعنى بين المتضامَيْن تجعل أحدهما غير نابٍ في الفهم عن الآخر، فلا وجه لجملة فعلية مثل: فهم الحجر، ولا لجملة اسمية مثل: السماء تحتنا، فذلك غير مقبول في الظروف العادية لاستعمال اللغة، وقد يكون مقبولاً في المواقف غير المعتادة كالسخرية والمجاز[٢].

إن نحو الجملة صورة من صور التحليل النحوي، يقف عند حدود الجملة باعتبارها هي الوحدة اللغوية الكبرى، التي ينبغي أن يقعد لها دون أن يتجاوزها. أما

(١) انظر: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص٧٢.

(٢) انظر: علم لغة النص، د. سعيد بحيري، ص١٣٤، علاقة النحو العربي بنحو النص، د. عبدالسلام حامد، ص٥٦، نحو النص، اتجاه جديد في الدراسات النحوية، د. أحمد عفيفي، ص٦٢، ٦٣.

نحو النص فغايته القصوى، فهم أوجه الترابط النحوي المتجاوزة للجملة الواحدة وكذلك النظر إلى مجموعة الجمل التي يتألف منها النص، مؤكدًا على ضرورة وجود: عناصر الربط والتماسك التي تحقق للنص تماسكه، وترابطه كنسيج لغوي واحد.

أضف إلى ذلك أن نحو الجملة يعزل الجملة عن سياقها اللغوي، بينما نحو النص ينظر إلى "النص ككل في إطار شمولي يراعى مجموعة من المعايير منها: السياق الداخلي والخارجي كما يهتم بمُنْشيء النص ومتلقيه، وآليات الفهم، والاستيعاب، والتذكر، والاسترجاع وإعادة البناء.

إن نحو النص يستخدم كثيرًا من أدوات الربط ودورها في تماسك النص، وهي من مسلمات نحو الجملة، فنجد إشارات إلى أسماء الإشارة، والضمائر، والأسماء الموصولة، والتكرار وغيرها من الوسائل التي تعمل على تأكيد معنى الترابط، والتواصل بين الجمل.

كذلك فإن نحو الجملة في بيانه للعلاقات النحوية، والدلالية بين العناصر اللغوية في الجملة، لا يُعير مباحث البلاغة، وأثرها في المتلقي كثير اهتمام ، بينما نحو النص يهتم اهتمامًا خاصًا بالبحث في تلك الأمور. فهو علم يُدخل في وظائفه كثيرًا من مباحث علم البلاغة مثل: الإيجاز والإطناب، والمساواة، والوصل، والقطع، كما يُدخل في موضوعاته كثيرًا من المسلمات النقدية مثل: الوحدة العضوية، والوحدة الموضوعية، والتناص بين النصوص والعلاقة بين الشكل والمضمون وغيرها.

وهذا الاختلاف الواضح بين نحو الجملة، ونحو النص، لا يمكن أن يفهم منه إغناء أحدهما عن الآخر، بل هما يتكاملان، وقواعد النحو التقليدي تمثل جزءًا أساسيًا غير قليل ينبني عليه نحو النص(١). فإن العلاقة بين نحو النص ونحو الجملة علاقة تكامُل لا يمكن الفصل التام بينهما، وأن التراث النحوي بما حوى من مفاهيم وقواعد هو الأساس الفعلي لنحو النص، وهو منبع كثير من أفكاره وتصوراته. وذلك واضح بشكل كبير في مؤلفات رواد نحو النص ومناهجهم في التحليل النصيّ(٢).

(١) انظر: علم لغة النص، د. سعيد بحيري،ص ١٣٤، نحو النص، أحمد عفيفي، ص٧١.

(٢) انظر: شعر محمد مهدي الجوهري دراسة نحوية ونصية، تأليف صالح الشاعر، ص٣٦.

إن نحو الجملة يمثل الأساس الذي بني عليه نحو النص أسسه ومعاييره، فهو وإن كان لا يعترف باستقلال الجملة داخل النص، إلا أنه "لا يفتأ ينتفع بما قيل عنها في النحو التقليدي، وبهذا يتضح أن النص لا يتنكب الطريق التي مهدها وعبدها المتقدمون لكنه ينتفع من علوم أخرى كالبلاغة واللسانيات(١).

كما تتجلى العلاقة بين النحويين في اعتراف الكثير من علماء نحو النص، الذين وجهوا نقدًا لنحو الجملة لعدم كفايته على وصف الظواهر التي تتجاوز حدود نحو الجملة، ومن هؤلاء فان دايك، الذي بين هذه العلاقة بين النحوين بقوله "غير أن ذلك لا يعني رفض مقولات نحو الجملة أو التقليل من قيمتها أو التشكيك في صحتها"(٢).

ويرى (فاينرش) أنه لا يمكن أن نرفض نحو الجملة، بل على العكس من ذلك فإن نحو الجملة هو نقطة البداية في التحليل(٣). فنحو الجملة كما ذهب (فان دايك) يشكل جزءًا غير قليل من نحو النص، وبذلك تكون قواعد نحو الجملة هي القواعد المؤسسة لنحو النص(٤).

(١) انظر: في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص٢١٧.
(٢) انظر: نحو النص، د. أحمد عفيفي، ص٦٨.
(٣) السابق: ص٦٨.
(٤) السابق: ص٧١.

المبحث الرابع
جهود علماء العربية في نحو النص

ذكرت فيما سبق أن هناك وجوه اتفاق، وأخرى وجوه اختلاف بين نحو النص، ونحو الجملة، وأن هذا الاختلاف الذي قد يبدو بينهما، لا يعني بحال أنه يمكن إغناء أحدهما عن الآخر، بل هما يتكاملان وإن قواعد نحو الجملة تمثل جزءًا أساسيًا غير قليل ينبني عليه نحو النص(١).

إن الجهود التي قدمها علماء العربية القدامى يمكن أن نلمسه من خلال ملمحين هما:

أ- إبراز جهود نحاة العربية، في مجال نحو النص، ويكون ذلك بدراسة تلك الجهود في نماذج تمثلها خير تمثيل من خلال دراسة أعلام النحاة الذين عنوا بالنص واهتموا به، وبدراسة النحو التطبيقي.

ب- إبراز أثر النحو العربي فيما سُميّ بـ"لسانيات النص العربية" من خلال العلوم العربية التي تصنف على أنها من لسانيات النص في التراث العربي، وهي علوم البلاغة، والنقد الأدبي، والتفسير وأصول الفقه.

أولاً: جهود علماء العربية في مجال نحو النص:

تبرز تلك الجهود من خلال دراسة أعلام النحاة الذين عُنوا بالنص، وبدراسة نماذج من النحو التطبيقي.

ومن هؤلاء النحاة الذين عنوا بالنص نظريًا وتطبيقيًا، ابن جني، وابن هشام. فابن جنى "جمع بين النظر والتطبيق، وبخاصة في كتبه: الخصائص، والمحتسب، وشروحه الشعرية المتعددة، وكان له في ذلك أصول، ومبادئ، وآراء، وتطبيقات كثيرة لا تنكر ولها أثرها(٢).

وعُنِيَ ابن هشام في المغني والشذور بالتطبيق، والاستشهاد كثيرًا بالقرآن الكريم. وفي المغني اهتمام خاص بحروف المعاني وهي ذات دور فعّال في الربط بين الجمل وسبك تتابعها وتحقيق التماسك النصيّ ونسيج الكلمات.

---

(١) انظر: علم لغة النص، سعيد بحيري، ص١٣٤، ونحو النص، ص٧١.

(٢) انظر: عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني، عبدالغفار حامد هلال، ج١، ص١٨١- ٢٠٨.

كما اهتم بربط التنظير والتقعيد النحوي، بالجانب التطبيقي في مواضع عدة من المغني ومنها: "الجمل التي لها محل من الإعراب وهي تسع"[١]، والجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، وهي عشر"[٢]، "أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها"[٣].

وأما النحو التطبيقي فيتضح فيما سطرَّهُ علماء العربية من مؤلفات في إعراب القرآن وبيان معانيه، وكتب التفاسير التي اهتمت بالنحو، وشروح الشعر المختلفة.

وسبق كل هؤلاء ما ذكره سيبويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة وهي: "فمنه – أي كلام – مستقيم حسن، ومستقيم محال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدا، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وأكلت ماء البحر، ونحوه. وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا يأتيك، وكي زيدًا يأتيك، ونحوه، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[٤].

من ذلك النص نستطيع أن نلحظ تخطي سيبويه قيود القاعدة والتركيب، والولوج إلى النواحي الدلالية، ومدى مناسبة اللفظ للسياق، وإتقانه للواقع، كما اهتم بعنصر مهم من معايير النص وهو عنصر"المقبولية" الذي يدل على مدى تقبل المتلقي لرسالة النص[٥].

وما نظرية النظم عن هذا المعنى ببعيد، فقد تحدث عنها عبدالقاهر وكان يعني بالنظم "التضام والبناء والنسيج الذي يكون بين أجزاء النص وتوالد الألفاظ بعضها من بعض ... وليس النظم شيئًا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم"[٦].

ولم يقصد عبدالقاهر الجرجاني بالنظم مجرد ضم الألفاظ إلى بعضها فحسب، وإنما أراد إدراك العلاقات، والمفاهيم، والدلالات بين هذه الألفاظ، وذلك معيار من معايير النصية وهو "التماسك" أو النسيج النصي".

---

(١) انظر: مغني اللبيب، ٣٧٤/٢.
(٢) السابق، ٥٢٧/٢– ٥٩٢.
(٣) السابق ٦٥٠/٢.
(٤) الكتاب، سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، ص٢٥، ٢٦.
(٥) انظر: الترابط النصيّ في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل ياسر البطاشيّ، ص٣٦، ٣٧.
(٦) انظر: دلائل الإعجاز، لعبدالقاهر الجرجاني، ص١٥.

لقد فهم العرب التماسك النصي، وضرورة أن يكون النص وحدة واحدة، وعبروا عن ذلك بعبارات تعطي هذا المعنى مثل (جودة السبك)، (ويُفْرغ إفراغًا واحدًا). فقد نقل الجاحظ عن خلف قوله: "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغًا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"(١).

وورد مصطلح "السبك" عند الجاحظ مرة أخرى في "الحيوان حين ذكر أبا نواس وعلاقته بالكلاب يقول: "وأنا كتبت لك رجزه في هذا الباب ... وصفات الكلام مستقصاة من أراجيزة، هذا مع جودة الطبع، وجودة السبك"(٢).

يعنينا من هذا النص وصف الجاحظ شعر أبي تمام بجودة الطبع، وجودة السبك، فلا تكلف فيه مع ترابط أفكاره.

لقد أولَى العرب – كذلك – كتب إعراب القرآن وبيان معانيه اهتمامًا عظيمًا، وكذلك كتب التفسير التي اهتمت بالنحو، وشروح الشعر المختلفة. فحيوية النحو العربي نبعت من كونه "علم نص" نشأ في حضن القرآن الكريم، والشعر العربي القديم، ولم يوقف النحاة دراستهم على الجانب النظري التقعيدي فحسب، بل أولَوا الجانب التطبيقي نصيبًا عظيمًا من كتاباتهم من خلال شواهدهم التي أيدوا بها قواعدهم مستندين في ذلك إلى القرآن الكريم، والشعر العربي القديم، وأحيانًا الحديث النبوي الشريف.

ومن الأمثلة التطبيقية كذلك ما ذكره علماء التفسير من أن القرآن يفسر بعضه بعضًا. يقول الزركشيّ "قيل أحسن طريقة للتفسير أن يُفَسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجمِل في موضع, فقد فُصِّل في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه قد بُسط في آخر"(٣). وقالوا في مثل هذا إن القرآن كله كالسورة الواحدة، أو هو في حكم كلام واحد.

(١) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ص٦٧/١.

(٢) انظر: الحيوان، للجاحظ، ٢٧/٢.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشيّ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٧٥/٢٠.

يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[1] "إنا أنزلناه يعني القرآن، وإن لم يجر له ذكر في هذه السورة؛ لأن المعنى معلوم، والقرآن كله كالسورة الواحدة"[2].

ويقول كذلك في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[3] إن " لا صلة، وجاز وقوعها في أول السورة؛ لأن القرآن متصل بعضه ببعض،فهو في حكم كلام واحد، وكذلك قد يذكر الشيء في سورة، ويجيء جوابه في سورة أخرى كقوله تعالى:﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[4]، وجوابه في سورة أخرى: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[5]"[6].

وهذا هو عين التناص الذي اعتبره اللسانيون أحد معايير نحو النص، وهو نوع من المناسبة واستدعاء نص لنص آخر، كما يعد ذلك التماسك بين آيات القرآن الكريم كلها هو جوهر العلاقات النصية كلها.

وتتضح أسمى صور التحليل النحوي، واجتماع علوم النحو التقليدي، وعلوم البلاغة، والتفسير، إلى جانب معايير نحو النص من معنى التماسك النصي، واستدعاء النصوص "التناص" والإعلامية، والقصد، والقبول، في كل ما قدمه علماء التفسير في تناولهم لأي الذكر الحكيم، وأُمثل له بما ذكره أبو حيان في تحليل، وتفسير قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[7]، حيث قال: "إن مرجع الضمير في (إنها) واحتمالاته المختلفة، الاستثناء المفرغ بـ(إلا)، موقع (الذين)، وأنه يجوز فيه الإتباع والقطع إلى الرفع أو النصب للمدح، ومعنى (الظن) في (يظنون)، وكونه بمعنى اليقين أو الحسبان، معنى الملاقاة صرفيًا بناء على أنه إذا قيل: إن (فاعل) تأتي بمعنى (فَعَلَ) مثل: عافى وعاقب فهذا لا يصح هنا؛ لأن الصيغة المجردة من هذا الفعل (لقى) تدل على الاشتراك، فمادة اللقاء مجردة ومزيدة تقتضي الاشتراك في كل

(١) سورة القدر: الآية١.
(٢) تفسير القرطبي، ص١٢٩/٢٠.
(٣) سورة القيامة: الآية١.
(٤) سورة الحجر: الآية ٦.
(٥) سورة القلم: الآية٢.
(٦) تفسير القرطبي: ٩١/١٥.
(٧) سورة البقرة: الآية ٤٥، ٤٦.

حال، ومعنى الإضافة غير المحضة في (ربهم)، وكون الإضافة إلى الرب في غاية الفصاحة، وتفسير معنى الملاقاة دلاليًا على أربعة أوجه، الأول: أن يكون اللقاء بمعنى الرؤية البصرية لله ﷻ، وعلى أن يكون الظن على بابه بمعنى الظن ويراد به الترجيح، والثاني: أن يكون على حذف مضاف، والتقدير: يظنون أنهم ملاقو جزاء ربهم، والظن بمعنى اليقين، والثالث: أن يكون بمعنى الكناية عن الموت وانقضاء الأجل، والظن على هذا بمعنى اليقين أيضًا، والرابع: أن يكون بمعنى حذف مضاف أخص، أي: أنهم ملاقو ثواب ربهم، والظن هنا على بابه بمعنى الحسبان)"[١].

ومن صور التماسك، والانسجام والتناسب الذي يحدثه الوصل بين مفردات اللغة وجملها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[٣].

ومن مظاهر الإحالة التي وردت عند المفسرين، ما ذكره (الزركشي) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[٤]، فقد ذكر "اختلاف المفسرين باعتبارهم متلقين للخطاب القرآني في عودة الضمير منها على الحجارة أو على القلوب"[٥].

إن اختلاف التأويل والتلقي للضمير داخل النص القرآني يسمح بتعدد الفهم في ضوء الاستعدادت والثقافات[٦].

فالمتكلم يستطيع عبر توظيف الضمير أن يُشكل الدلالة المبتغاة ويبرزها داخل الخطاب "لأن تشكيل المعنى وإبرازه يعتمد على وضع الضمائر داخل النص إذ أن هذه الضمائر من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي"[٧].

ويرى النصيون أن الإحالة علاقة دلالية لا تخضع بالضرورة لقيود نحوية، غير أن وجوب التطابق بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه يجعلها تستجيب لضوابط تركيبية تطابقية، حيث تتأثر هذه العناصر المشكلة للنص بالأعراف

(١) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان، ١/٣٠٠، ٣٠١.
(٢) سورة الأنعام: الآية١٦٢.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤.
(٤) سورة البقرة: الآية٧٤.
(٥) البرهان، للزركشي، ٤/٤١.
(٦) انظر: أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن، شلتاغ عبود، ص٩٤.
(٧) السابق: ص١٩٢.

الاجتماعية، وملابسات وظروف وقوع النص، كل ذلك من المعايير النصية التي نادى بها علماء النص، وأشار إليها علماء العربية القدماء.

ولعل ما ذكره الزركشيّ، ومن بعده السيوطي عن علم المناسبة ما يؤكد مدى معرفة علماء العربية لمعيار المناسبة أو المقامية وسبك الكلام وتماسكه فقد أكد السيوطي على هذا المصطلح وذكر أن "أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسيّ إذا قُرئ عليه لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة ... وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام :المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام، أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك، فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك، يُصان عن مثله حسن الحديث، فضلا عن أحسنه... وقال الشيخ وليّ الدين العلويّ: قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياتها بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين، أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يُبحث أول شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له"(١).

إن القارئ لما سجله تراث العربية النحوي، بداية من سيبويه، وحتى حاشية الصبان يلمس بوضوح سيطرة فكرة الربط النحوي، أو التماسك النصيّ التي سيطرت على فكر وعقول النحويين، بعضها على مستوى المفردات داخل الجملة، والبعض الآخر على مستوى يتجاوز الجملة الواحدة، وتلك الفكرة من أهم الأسس التي قام عليها نحو النص.

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٣٦٩/٣، ٣٧٠.

لذلك نجد علماء النصّ يصرحون "بأن وصف الملفوظ إذا ما تعدى الجملة الواحدة هو من أهم أسس وجود نحو النص ومبرراته"(١).

لقد أوضحت هذه النصوص، والتي سجل فيها علماء العربية إسهاماتهم النصية، أن هؤلاء القدماء عرفوا مدلول المصطلحات، ولم يسموها، أو ربما أسموها بمصطلحات غير التي شاعت لدى علماء النص المحدثين، مثل مصطلحات (المناسبة)، (النسيج اللغوي)، وربما ذكروا المصطلح؛ لكنه لم يشع وقتها مثل (حسن السبك)، (البرهان).

وهذه المصطلحات ومدلولاتها، لم تكن من الكثرة؛ بحيث تمثل نظرية لغوية مثل نظرية التماسك النصيّ، لكنها على أية حال تمثل مقدمة طيبة، وتمهيدًا جيدًا يؤكد أن علماء العرب القدامى كان لديهم حس لغوي صحيح، ورؤية معبرة، ومبكرة في البحث اللغوي يمكن أن تكون بداية لنظرية عربية نصية إذا أضيف إليها إسهامات علماء النص العرب المحدثون.

ثانيًا: أثر النحو العربي فيما سميّ بلسانيات النص العربية:

إذا ذهبنا نبحث في التراث العربي القديم، وجدنا أنه يشمل العديد من النصوص التي تدل على اهتمام علماء العربية من اللغويين، والمفسرين، والبلاغيين، والنقاد بدراسة النص، وأهمية التزامه بالمعايير اللسانية التي تؤكد على معنى النصية، والتماسك النصيَّ، دون أن يعنوا بتنظر تلك الجهود الحميدة، في شكل نظرية لسانية خاصة بهم، يشكلون من خلالها معايير محددة، تبرز قواعدهم وتحدد مباحثها كما فعل علماء الغرب اللسانيون.

وسوف يعرض البحث مجموعة من النصوص العربية القديمة تؤكد اهتمام القدماء بدراسة النص، وذلك من خلال الأمثلة التالية:

أ- ما ذكره سيبويه في (باب اشتراك الفعل في (أن) وانقطاع الأخر من الأول الذي عمل فيه) "فالحروفُ التي تُشرك الواو والفاء وثم وأو، وذلك قوله: أريدُ أن تأتيَني ثم تحدِّثَني، وأريدُ أن تفعلَ ذلك وتُحْسِنَ، وأريد أن تأتيَنا فتبايعَنا، وأريد أن تَنطقَ بجميل أو تسكتَ"(٢). ويقرر سيبويه في هذا اشتراك المعطوف

(١) انظر: نسيج النص، للزناد الأزهر، ص١٦.
(٢) الكتاب، سيبويه ٥٢/٣.

على الفعل المنصوب بـ(أن) في الحكم، ويحدد الأدوات التي تشرك الفعل والمعطوف على الفعل المنصوب بـ(أن)، وهذا الحديث يدخل في معنى الترابط الحاصل بين أكثر من جملة داخل السياق اللغوي، وهو ما يمكن أن يُعبر عنه بالاقتران التتابعي، أو ما يُعرف بالتلاحم الحاصل بين الجمل المتتابعة، الذي يُمثله أسلوب العطف في النص السابق.

ب-ما ذكره سيبويه في معنى الدلالة، ومناسبة اللفظ للسياق الخارجي، وتأكيده على معيار المقبولية الذي يدل على مدى قبول المتلقي للرسالة، ومثال ذلك ما ذكره في باب الاستقامة من الكلام والإحالة وهي: "فمنه – أي الكلام – مستقيم، ومستقيم محال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمسِ، وسآتيك غدا، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وأكلت ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح فان تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا يأتيك، وكي زيدًا يأتيك ونحوه، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"(١).

ج- أشار الجاحظ إلى مفهوم الترابط الصوتي في حديثه عن تنافر الألفاظ في البيت الشعري الواحد كقول الشاعر:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفر وليْسَ قُرْب قَبر حربٍ قبرُ

وأجود الشعر عنده ما يكون "متلاحم الأجزاء، سهل المخارج فيعلم لذلك أنه أفرغ إفراغًا واحدًا، وسبك سبكًا واحدًا فهو يجري على اللسان كما يجرى الدهان"(٢).

د- ما ذكره الجرجاني عن النظم، وأنه لا يعني مجرد ضم الألفاظ بعضها إلى بعض، دون اعتبار للعلاقات بين الألفاظ شكلاً ودلالة واستخدامه لمصطلح معاني النحو التي تجمع بين النحو والبلاغة والدلالة يقول : "لا يصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة، من غير اتصال يكون بين معانيها، وأنه لو جاز أن يكون لمجرد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة، لكان ينبغي إذا قيل: ضحك خرج، أن يحدث من ضم خرج إلى ضحك، فصاحة، وإذا بطل ذلك لم

(١) الكتاب، سيبويه، ٢٥/١، ٢٦.

(٢) البيان والتبيين، للجاحظ، ص٧٦.

يبق إلا أن يكون المعنى في ضم الكلمة إلى الكلمة توخي معنى من معاني النحو فيما بينهما"[١].

هـ- ومنه ما ذكره الجرجاني عن الوصل والفصل، وهو ما يدخل في صميم نحو النص قوله: "اعلم أن مما يقل نظر الناس فيه من أمر العطف، أنه قد يؤتي بالجملة فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف، جملة أو جملتان"[٢]. وقد مثل لذلك بأمثلة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[٣]. فالشرط هنا في مجموع الجملتين , لا في كل واحدة منها على الانفراد، ولا في واحدة دون الأخرى.

وقد ذهب الجرجاني إلى أن لام التعريف، أداة تتجاوز ما يراه النحاة، من أنها تحول النكرة إلى المعرفة، فهي تتعدى ذلك، إلى الربط بين الجمل ربطًا يشبه الإحالة بالضمير، من حيث إنها تذكر السامع أو القارئ بشيء سبق ذكره، أو إلى أمر معلوم في الذهن يجرى الكلام عليه أو الإشارة له في السياق"[٤].

ومعنى هذا أن أداة التعريف – وفق هذه الفكرة – تشير إلى ما يسمى بالمعلومات السابقة؛ بينما يُؤدي التنكير وظيفة الإشارة إلى معلومات لاحقة؛ أي إلى وحدة لغوية لم يوضحها المتكلم"[٥].

و- ما ذكره ابن جنى عن ربط الحذف النحوي بالمقام، حينما جعله "من باب الشجاعة العربية، واشتراط الدليل على الحذف، وإلا أصبحت العملية ضربًا من ضروب التكليف والضياع"[٦]، ولعل ابن جنى ينظر إلى أمثلة سيبويه التي ذكرها في الكتاب.

"اللهم ضَبْعًا لا ذِئبًا"[٧]، و"أمر مُبْكِياتك لا أمر مُضحكاتك"[١]، و"هذا ولا زعماتك"[٢]، و"الظباء على البقر"[٣]، و"كليهما وتمرا"[٤]. فهذه الأمثلة جميعها قد

(١) دلائل الإعجاز، للجرجاني، ص:١٥.
(٢) السابق، ص٢٤٤.
(٣) سورة النساء: الآية ١١٢.
(٤) انظر: في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص٢٢.
(٥) انظر: مدخل إلى علم لغة النص، فوفجانجهاينه، ص٢١.
(٦) انظر: الخصائص، لابن جني، ٣٦٢/٢.
(٧) الكتاب ٢٥٥/١.

طالها الحذف، ويُستدل على المحذوف اعتمادًا على المقام، وعند الحذف كانت هناك قصة كاملة يدور حولها المثل وقد انبثق عنها، فالارتباط الحاصل بين المثل والحادثة هو ارتباط نصيّ"[٥].

نستطيع أن نقرر بعد ذلك أن علوم البلاغة، والتفسير، والنقد الأدبي تصنف على أنها من لسانيات النص في التراث العربي، تلك العلوم التي تُوجه اهتمامها، ومباحثها إلى النص، تلك النصوص أفادت بشدة من نحو الجملة العربي، ووسعته، وبنت عليه. ويمكن أن نستخلص مجمل ما قدمته علوم البلاغة، والتفسير لنحو النص بعد الإفادة من النحو العربي بما يلي:

- اهتمام البلاغة بأدوات التماسك النصي، وخاصة مبحث الفصل والوصل، وهو مبحث عظيم في نحو الجملة؛ لأنه يقوم على أسس نحوية كثيرة، ففكرة الوصل والفصل عولجت في باب التوابع. وعلى ذلك فإننا إذا قررنا أن علوم البلاغة تعد علومًا نصية، وأنها أقرب إلى لسانية اللغة وعلم النص من نحو الجملة، فلا يجب أن ننكر الأصول النحوية النصية لعلوم البلاغة التي ارتكزت على نصوص سيبويه، والكسائي، والمبرد وابن جنى وسائر علماء نحو الجملة القدامى.
- اهتمام علم التفسير وعلومه بمعايير الانسجام، والحبك على المستوى النحوي، والمعجمي، والدلالي. وقد نلمس ذلك في النحو في أبواب العطف والإحالة والإشارة، وفي المستوى المعجمي نلمس عناية علم التفسير، بالتكرار، وبناء السورة على حرف أو حروف، وفي المستوى الدلالي اعتنى بموضوع الخطاب وتنظيمه، وترتيبه وبالعلاقات من حيث، البيان، والتفسير، والإجمال، والتفصيل، والعموم، والخصوص[٦].

---

(١) السابق ١/٢٥٦.
(٢) السابق ١/٢٨٠.
(٣) السابق ١/٢٥٦.
(٤) السابق ١/٢٨٠.
(٥) انظر: نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي، عبدالمهدي هاشم الجراح، بحث نُشر في مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣٢، العدد ١، إربد، الإردن، ٢٠٠٦م.
(٦) انظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص١٠٠، ١٠١.

بناء على ما سبق ندرك أن النحو العربي (نحو الجملة)، لم يكن بمنأى عن علم النص؛ لأنه علم نشأ في ظل القرآن الكريم، والشعر العربي القديم وأن له إسهاماته الواضحة في لسانيات النص، وهو إن لم يكن نحوًا نصيًا بالمعنى الغربي، فهو نحو يشمل نحو الجملة، ونحو النص، وخاصة ما قدمه في باب العطف، والإحالة، والإشارة، والوصل والفصل، والاستبدال، وأدوات المقارنة.

ويؤكد البحث على أن ما سجله علماء العربية القدامى في زمن مبكر يُعد مقدمة لنظرية لغوية نقدية تؤكد ما تمتع به القدماء من حس لغوي مميز، ورؤية مبكرة في البحث اللغوي، والنقدي، والأمر يحتاج إلى جهود مخلصة من النحاة، واللغويين، واللاغيين، والنقاد، من أجل بلورة تلك الجهود في نظرية لسانية عربية حديثة تنظر بعين على تراثنا العربي وبعين أخرى على ما قدمه اللسانيون المحدثون العرب والغربيون، ومن ثم، بلورة تلك الجهود في نظرية عربية حديثة في علم النص، تلملم شتات ما أبدعه القدماء، في كل علوم العربية، وتضم إليه جهود المحدثين العرب في مجال النظرية النصية، ومستنيرة بكتابات علماء النص الغربين، ففي ماضينا وحاضرنا ما يمكننا من ذلك إذا تضافرت الجهود المخلصة، وصدقت النوايا.

أهم نتائج البحث وتوصياته

أ- النتائج:

١- اثبت البحث ريادة العرب وسبقهم علماء الغرب في مجال علم النص، وإن كانت مصطلحاتهم تختلف عما قرره اللغويون المحدثون، فليست القضية قضية مصطلحات بقدر ما هي قضية فكر ومنهج.

٢- نص علماء العربية على أنواع شتى من العلاقات داخل النص، وبينوا جزئيات البقاء النصي ببراعة وإتقان، إلا أنهم لم يبلورا ما قالوه في شكل تنظيري تقعيدي لنقد النصوص.

٣- أظهر البحث أن تماسك النص علم قديم في أصوله، جديد في مظهره وأسلوبه، وأنه امتداد طبيعي لعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، ونقد، وتفسير.

ب- **التوصيات:**

١- يوصى البحث بضرورة إعادة النظر في الآراء النحوية من منظور مناهج علم النص لنرى ما كان منها مناسبًا للسياق ومضمون النص.

٢- يوصى البحث بضرورة الإفادة المثلى من علم النص في الدرس النحوي على المستويين التنظيري والتطبيقي.

٣- يوصى البحث بأهمية تتبع الآراء النصية لدى علماء العربية القدامى بشتى تخصصاتهم من أجل بلورة نظرية نصية عربية متكاملة.

قائمة المراجع والمصادر:

١- الإبداع الموازي، التحليل النصيّ للشعر، محمد حماسة، دار غريب، ط١، ٢٠٠١م.

٢- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٣- أساس البلاغة، الزمخشري، تح محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

٤- أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، شلتاغ عبود، ط١، دار المحجة البيضاء، دار الرسول الكريم، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

٥- البحر المحيط، لأبي حيان، تح صدقي محمد جميل، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٦- بحوث ألسنية عربية، ميشال زكريا، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع.

٧- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبدالمجيد، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٩٨م.

٨- البرهان في علوم القرآن، للزركشيّ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

٩- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ط١، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٠- البيان والتبيين، الجاحظ، تح عبدالسلام هارون، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٥م.

١١- التحليل اللغوي للنص، كلاوس برينكر، ترجمة سعيد بحيري، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥.

١٢- الترابط النصيّ في الخطاب السياسي، سالم محمد المنظري، ط١، بيت الغشام للنشر والترجمة، عمان، مسقط، ٢٠١٥م.

١٣- الترابط النصيّ في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل ياسر البطاشيّ، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩.

١٤- الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة،مصر، ١٩٣٥م.
١٥- الحيوان، الجاحظ، تح عبدالسلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط٢، مصر، ١٩٦٥م.
١٦- الخصائص، ابن جنى، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ٢٠١٠م.
١٧- دراسات لسانية تطبيقية، مازن الوعر، ط١، دار هومة للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.
١٨- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، صححه محمد عبده وآخرون، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨م.
١٩- شرح الأشموني للألفية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.
٢٠- شرح قصيدة بانت سعاد، ابن هشام، ضبط محمد الصباح، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، د.ت.
٢١- شعر محمد مهدي الجوهري، دراسة نحوية ونصية، صالح الشاعر، ط١، دار طيبة للنشر، ٢٠١٠م.
٢٢- عبقري النحويين أبو الفتح عثمان بن جني، عبدالغفار حامد هلال، ط١، دار الفكر العربي، ٢٠٠٦م.
٢٣- علاقة النحو العربي بنحو النص، عبدالسلام حامد، رابطة أدباء الشام، مجلة إلكترونية، على الشبكة العنكبوتية.
٢٤- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، ط١، دار قباء، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م.
٢٥- علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، ط١، مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.
٢٦- علم النص، جوليا كرستيفا، ترجمة فريد الزاهي، ط٢، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٧م.
٢٧- علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة سعيد بحيري، ط١، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م.

٢٨- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، دار المسيرة للطباعة والنشر، ط٢، عمان، ٢٠٠٩م.
٢٩- القارئ في النص (نظرية التأثير والاتصال)، د. نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، العدد الأول، ١٩٨٤م.
٣٠- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق محمد نعيم العرقسوسّي، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.
٣١- الكتاب، سيبويه، تح عبدالسلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.
٣٢- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، د. ط، بيروت، لبنان.
٣٣- لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، نعمان بوقرة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م.
٣٤- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.
٣٥- محاضرات في لسانيات النص، جميل حمداوي، نسخة إلكترونية، شبكة الألوكة.
٣٦- مدخل إلى علم النص، فوفجاتج هاتيه، د. إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر ١٩٩٩م.
٣٧- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، عمان، ١٩٨٩م.
٣٨- المعايير النصية في السور القرآنية، يسري نوفل، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤م.
٣٩- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مصر، ط٥، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠١١م.
٤٠- مغني اللبيب، ابن هشام، تح د. مازن المبارك، ومحمد علي حمدالله، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٢م.
٤١- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٣، دار الفكر، ١٩٧٩م.
٤٢- من العمل إلى النص، رولان بارت، ضمن كتاب آفاق نصية، نسخة الكترونية.
٤٣- منهج ابن هشام في شرح بانت سعاد، د. محمود ياقوت، دار قطرى بن الفجاءة، ١٩٨٦م، د.ط.

٤٤- نحو أجرومية للنص الشعري، سعد مصلوح، مجلة فصول، مج١٠، العـدد ١، ٢، يوليو، أغسطس، مصر، ١٩٩١م.
٤٥- نحو الجملة، ونحو النص، محاضرة مخطوطة، د. تمام حسان، مجلـة الفيـصل، العددان ٥٠٣، ٥٠٤.
٤٦- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفـي، ط١، مكتبـة زهـراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.
٤٧- نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي، عبدالمهدي هاشم الجراح، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، والاجتماعية، المجلد ٣٢، العدد١، إربد، الأردن، ٢٠٠٦م.
٤٨- نسيج النص، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.
٤٩- النص والخطاب والإجراء، روبرت بوجراند، ترجمة تمـام حـسّان، ط١، عـالم الكتب، القاهرة، مصر، ١٩٩٨م.
٥٠- النصية في السور القرآنية، يسري نوفل، ط١، دار النابغة، ٢٠١٤م.
٥١- النقد بين المثالية والدنامية، محمد مفتاح، مجلة الفكر العربي، بيروت، لبنان، العدد ٦٠، ٦١، ١٩٨٩م.